

فاعلية الدراسات السابقة في اختيار موضوع البحث (دراسة تطبيقية في نموذج من مذكرات الماستر)

The effectiveness of previous studies in choosing a research topic An applied study in a model of the master's thesis

د. محمد أنيس الطيب

المركز الجامعي عبد الله مرسلّي - تيبازة، (الجزائر)

anous2500@gmail.com

أ. أمينة فريك

المركز الجامعي عبد الله مرسلّي - تيبازة، (الجزائر)

amina.frik96@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/10/01

تاريخ القبول: 2022/09/30

تاريخ الإرسال: 2022/03/22

المؤلف المراسل: د. محمد أنيس الطيب. anous2500@gmail.com

الملخص:

يمسّ المقال شريحة كبيرة من الطلبة الباحثين خاصة المقبلين منهم على التخرّج، حيث حاولنا أن نسلط الضوء على كيفية استثمار وتفعيل الدراسات السابقة من أجل اختيار موضوع البحث، وذلك من خلال أنموذج تطبيقي بيّنا فيه أهم الخطوات والإجراءات العملية التي تسهم في اختيار موضوع البحث، مبرزين أهمية الاعتماد على الدراسات السابقة في ظلّ الارتباك والتشتت الحاصل أثناء المراحل الأولى من البحث العلمي، ومعتمدين على المنهج الوصفي التحليلي. توصلنا إلى أنّ اختيار الموضوع وفق إشكالية معينة يتأسّس على الاطلاع الدقيق لما جاء في الدراسات السابقة، كما أنّ كل الجوانب الخاصة بالدراسات السابقة مهمة أثناء اختيار موضوع البحث.

الكلمات المفتاحية:

فاعلية، الدراسات السابقة، اختيار، موضوع البحث. مذكرة التخرّج.

Abstract:

The article concerns a large number of researches, especially those about to graduate. we have tried to focus on choosing the research topic based on the investment of previous studies through an applied model in which we have shown the main steps and procedures that contribute to select the research topic. And this by reflecting the importance of relying on previous studies in the midst of confusion and disorientation during the early stages of scientific study.

As a result, we should have an accurate and detailed knowledge of previous studies. In addition, all the elements are important in the previous studies concerning the choice of research topic.

Keywords:

Effectiveness, previous studies; choosing; research topic; thesis

1. مقدمة:

يُطالب أغلب الطلبة الباحثين ضمن الدراسات العليا بإنجاز بحوث أكاديمية يقدمونها استكمالاً لمتطلبات نيل شهادتي الماستر/الماجستير أو الدكتوراه، مما يترتب عليهم اختيار موضوعات دقيقة جديرة بالبحث والدراسة، يُرضون بها المتلقي وترقى لمتطلبات البحث ويحققون رغبتهم في التميز والإبداع.

في هذا السياق نصادف صنفين من الباحثين؛ بين مُكثرٍ ومُقلٍّ، وبين مُفرطٍ ومُفرطٍ: فالأول تطلّعاته كبيرة جداً، إذ يُبالغ في تحقيق الإبداع والتميز رغبةً منه ترك بصمة معتبرة في بحثه ولو كان ذلك على حساب الزمن والجهد، كلّ أمل في إمكانية الاهتمام إلى موضوع جديد مبتكر لم يسبقه غيره إلى دراسته؛ أمّا الصنف الثاني: فهو المقلد الحذر، تلمسه يعمد إلى مواضيع مستهلكة تمّ دراستها، ثمّ يقوم بتغيير العينة مثلاً أو أدوات البحث أو بعض متغيراته، وينسج على منوالها بحثاً مهجناً إن صحّ التعبير!!

وفي حقيقة الأمر، كلا الصنفين حالهما مضموم من جوانب؛ فالصنف الأول سيدفع ضريبةً غاليةً، حيث يستنزف الزمن والجهد بشكل كبير، فقط من أجل اختيار موضوع البحث وبلورة عنوانه، فهذا النوع لن يجد طاقة بعدها ليستكمل مختلف أجزاء البحث فيعزف وينقطع عنه من حين إلى آخر، وإن عاد ينتابه الملل والكلل حتى ينتهي من إنجازهِ -إن فعل- بعد سنوات عجاف طويلة؛ أمّا الصنف الثاني -فيما يبدو- إنه لا يُبالي إن كان بحثه يرقى للمستوى العلمي المحمود أو سيقدم إضافة علمية تُذكر، وإنما حسبه من الجهد المبذول أن يقوم بإرضاء الإدارة الوصية أو المشرف ليتحصل على الشهادة وانتهى الأمر في نظره.

إننا في حاجة إلى صنف ثالثٍ من الباحثين يتوسّط الصنفين وبيتغي بينهما سبيلاً، حيث يراعي تحقيق التوافق بين حسن اختيار الموضوع وتقليل الجهد واحترام المواعيد الإدارية لتسليم بحثه (استثمار الوقت). همّه الوحيد هو جودة البحث وقيّمته العلمية.

هناك جملة من الأسباب منحتني شرعية تسليط الضوء على إشكالية اختيار موضوع البحث وصعوبته في البحوث الأكاديمية، حسبي في هذا المقام أن أذكر أهمها فقط؛ وهذا انطلاقاً من واقع نعيشه مع الطلبة بصفة دورية، إذ يتوجسون خيفة وتغشاهم الحيرة والتردد تجاه طبيعة وماهية المنطلقات التي يجب أن يؤسسوا عليها نظرتهم في اختيار موضوع البحث؛ والحق يُقال، إنَّ ما من باحث في هذه المرحلة إلا وينتابه شعور بالنقص والضياع حيال عدم استقراره بعد على موضوع ما. وهو ما يدفعه للتشبث بأي وسيلة تحقق غايته وتبلغه قصده، -وبعيداً عن الوسيلة الملتوية كالغش والسرقات العلمية-، لمست سلوكاً شاع بين الطلبة لا يقلُّ -في نظري- انتقاداً عن الوسيلة الأولى، ألا وهو لجوء الطالب إلى الأستاذ المشرف أو بعض زملائه واثكاله عليه كلفة حتى يمنحه فكرة جاهزة يجعل منها موضوعاً لبحثه. ولا شك أنَّ هذا السلوك مذموماً يسحب من الطالب سمة الباحث العلمي، ويذهب روحه ولا يرقى بالبحث في شيء، لأنَّ الأصل في البحث العلمي أن ينطلق الباحث من رغبته العميقة سعياً لإيجاد اقتراحات أو حلول لظواهر وإشكالات يعيشها فعلاً أو تُطرح في الساحة المعرفية أو الحياتية ولا تزال محلَّ اهتمام وغموض بين من سبقه من الباحثين.. مستعينا بما كُتب في موضوع معين من رسائل وأطروحات. حيث يطلق على هذه الكتابات في منهجية البحث العلمي مصطلح الدراسات السابقة (previous studies).

من هنا يُعالج هذا المقال إشكالية يطرحها واقع الباحثين والطلبة أثناء اختيار موضوع بحثهم انطلاقاً من تفعيل أو تجاهل الدراسات السابقة، إذ لا يمكن للباحث -وفق قناعتني- أن يبتكر هكذا فجأة شيئاً من فراغ وإنما عليه أن يهتدي بمن سلفه من الباحثين، وأن يطلع على دراسات التي سبقته، ليكون بحثه جزءاً يتواصل به التراكم العلمي ويستمر من خلاله بناء العلم والمعرفة، "فيتمكن الباحث من رسم معالم بحثه ومن حبه إشكاليته حباً يجعل بحثه ذا انتماء إلى مرجعية نظرية ومنهجية"¹. والباحث الأصيل هو الذي يعرف كيف يختار المشكلة أو كيف يسأل ليستببط جواباً له إضافته العلمية، ويضيف أهمية واقعية وقيمة وجودية تتجاوب مع واقع قائم في المحيط المدروس"²، يقودنا هذا الطرح إلى أسئلة حتمية تتمثل في الآتي:

1- كيف يستثمر الباحث الدراسات السابقة لاختيار موضوع البحث؟

2- متى يلجأ الباحث إلى الدراسات السابقة؟

3- هل يُجبر الباحث على قراءة كل الدراسة أم يكفيهِ التعرّض لبعض جزئياتها فقط؟

أروم من خلال هذا المقال أن أنوّه إلى الدور التأسيسي الذي تقدّمه الدراسات السابقة للباحث في اختيار موضوع بحثه، كونها وسيلة مثلى تُوفّر عليه (ذلّ السؤال) في طلب عنوان بحث من الآخرين إن شاءوا أعطوه وإن شاءوا منعه. وإنّ المطلّع على هذا المقال سيلتمس أنّي أقتدي بهذا الطّرح مجسّدا لما جاء في أوّله من تشديد وتأكيد على أنّ جودة البحث تُقاس-في أغلب الأحيان- بمقدار ما يأخذه الباحث في حسبانهِ، وما يحترمه ويعترف به من آراء وجهود سابقهِ، وفي صدارة ما وضعته في حساباني عند تأسيس هذا المقال، وما أثار دافعتي أكثر لكتابته -فضلا عما ذكرته من دوافع- هو دراسة سابقة تناولت مجموعة من البحوث الأكاديمية (ماجستير ودكتوراه) من حيث ورود الدراسات السابقة فيها من عدمه، "أنّ ما يقارب نصف هذه البحوث (من العدد الإجمالي للعينة) لم تذكر في فصولها موضوع الدراسات السابقة سواء أكان ذلك من بعيد أو من قريب"³. ولك أن تتصوّر حجم الأضرار التي تنجم عن هذا التغافل للدراسات السابقة، بل إنّ المتصفح لما تطرحه هذه البحوث سيشعر بوجود فجوة وانقطاع بينها وبين ما كُتِبَ من الدراسات في الموضوع، وذلك ما يُبقّيها معزولة في طرحها عن سلسلة البحوث المترابطة عبر الأزمنة، وبالتالي لن تستطيع أن تجد لنفسها مكانا ضمن هذا التراكم. ضف إلى ذلك، أنّ حظوظ مثل هذه البحوث في عدم تفادي تكرار ما جاء في بحوث أخرى أو لبعض جوانبها سيكون ضئيلا جدّا، لأنّها لم تأخذ في حسابها الجهود السابقة أوّل أمرها. ويكفي أصحابها من الإثم أن فوتوا على أنفسهم فرصة الاستفادة من تجارب الآخرين أو أخطائهم، خاصة وأنّ "البعض منهم لا يلجأ إلى الدراسات السابقة إلّا بعد فراغه من جمع المادة العلميّة وتسجيل نتائج بحثه ظنّا منه أنّها خطوة لا تعدّ جزءا متكاملًا من عملية البحث، وإنّما هي صفحات تُسطرّ لزيادة حجم البحث فقط"⁴.

تختلف مناهج البحث باختلاف الموضوع الذي تتناوله الدراسة، كما أنّ أهداف الدراسة وإشكالياتها تتحكّم في اختيار نوع المنهج باعتباره "الطريق التي يتبعها الباحث لدراسة مشكلات البحث"⁵؛ أي إنّ المنهج هو طريقة يعتمد عليها الباحث للإجابة عن الأسئلة التي تمّ طرحها في إشكالية البحث، توصله إلى تحقيق أهداف معيّنة. وبما أنّ موضوعنا يهدف إلى التعرف على الكيفية التي تمكّن الطالب الباحث من استثمار الدراسات السابقة وتفعيلها أثناء اختيار موضوع البحث؛ فإنّ اختيار المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق مثل هذه الأهداف يعدّ المنهج الأنسب في ذلك، فهو "أسلوب من أساليب البحث التي تدرس الظاهرة دراسة كيفية توضّح خصائصها، ودراسة كمّية توضّح حجمها، وتغيّراتها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى"⁶. وإنّ ما جعل المنهج الوصفي التحليلي هو المنهج الأنسب للدراسة من جهة أخرى هو اعتماده على خطوات تخدم أهداف الدراسة الحالية، وهي ثلاث خطوات، تتمثّل الخطوة الأولى عملية جمع البيانات بواسطة مختلف طرق جمع البيانات، وتتمثّل الخطوة الثانية في التحليل الموضوعي لهذه البيانات، أمّا الخطوة الأخيرة فتقوم على معرفة طبيعة العلاقات التي تجمع العوامل المؤثرة في الظاهرة المدروسة⁷.

2. ماهية الدراسات السابقة:

إنّ تقديم تقرير يعالج ظاهرة ما من ظواهر الطبيعة أو الإنسان سيكون أبعد بكثير عن الارتجالية والعفوية؛ بل يقتضي إخضاعه لقوانين وخطوات التفكير العلمي السليم بدءاً بالشعور بالمشكلة ثمّ رصد الدراسات السابقة التي عالجتها سواء من بعيد أو من قريب. يُراد بمصطلح الدراسات السابقة الأبحاث التي عالجت الموضوع نفسه من زوايا معيّنة، وإنّ ما يُطالب به الباحث، هو "مراجعة هذه الدراسات التي تناولت الموضوع أو بعض جوانبه حتى يتسنى له أن يبدأ ممّا انتهى إليه غيره"⁸، وقد يُوحى المصطلح أيضاً إلى عملية "الاستطلاع والتتبّع للمنجزات العلمية ذات الصلة بموضوع البحث سواء كانت كتباً أو مقالات أو مصادر أخرى... وإخضاعها إلى الوصف والتلخيص والتقييم والتوضيح والدمج"⁹. ومن جهة "يقيد البعض هذه الدراسات باشتراط كونها أبحاثاً علمية"¹⁰، وهذا ما أطمئنّ إليه تجاه الدراسات السابقة، وذلك لما تلتزم به البحوث الأكاديمية من قواعد علمية صارمة، كما إنّها تخضع للتّحكيم سواء كانت بحوثاً منشورة في مجلات محكمة أو بحوثاً

أكاديمية يتم مناقشتها من طرف لجنة من الخبراء (مناقشات الماجستير والدكتوراه). ومما ينبغي أن نشير إليه أنّ الدراسات السابقة لا تمثل التراث النظري ككل؛ بل هي جزء منه، غير أنها تختلف عنه من حيث "المعالجة المنهجية وكيفية توظيفها، إذ يعتمد ذلك على ما تملّيه الضرورات المنهجية والنظرية المبنية أساساً على العرض والتحليل والنقد، بالإضافة إلى تتبع خطوات معينة متكاملة حتى تتحقّق الغاية المرجوة منها في خدمة البحث"¹¹.

3. ضرورة الاهتمام بالدراسات السابقة في البحوث الأكاديمية:

سبق وأشرت إلى أنّ الباحث يعتريه التردد والقلق والخوف إزاء عدم قدرته على اختيار موضوع البحث أو -على الأقل- استقراره وثباته على موضوع محدد أول الأمر، وإنّ جلاء هذه الحيرة وزوالها، يعتمد على جديته في الاعتداد بالدراسات التي سبقته، ومدى اطلاعه المكتّف على جزئياتها.

وعليه يعسر علينا أن نحصر حجم المقاصد الهائلة والمستهدفة جرّاء الرجوع إلى الدراسات السابقة، وأهمية الارتكاز عليها في بناء البحث العلمي؛ نورد بعضها على سبيل الذكر لا الحصر في النقاط الآتية:

- "توجيه الباحث في تحديد أبعاد الموضوع بهدف الإحاطة أكثر بجوانبه المراد البحث فيها"¹²، فضلاً عن كونها "توفّر على الباحث الجهد في اختيار الإطار النظري العام للموضوع"¹³.
- التأكيد من عدم تطرق الدراسات السابقة للمشكلة من الزاوية نفسها، وبالمنهج نفسه، وهذا "يتيح الفرصة للباحث من إبراز نوع الإسهام الذي تقدّمه دراسته المقترحة من إضافة وتجديد ويجعلها خلفية علمية يناقش في ضوئها نتائج بحثه"¹⁴، كما إنّها "تكشف عن جذور المشكلة وتؤدي إلى فهم ما تمّ بخصوصها في الفترات السابقة"¹⁵.
- "بناء فروض البحث اعتماداً على النتائج التي توصل إليها الآخرون، واستكمال الجوانب التي وقفت عندها الدراسات السابقة وبذلك تتكامل وحدة الدراسات والأبحاث العلمية"¹⁶.
- "يفيد في اختيار أفضل المناهج في معالجة قضايا البحث فقد يتبين للباحث منهج آخر أحسن يمكن أن يتناول المشكلة من خلاله"¹⁷.

- تمكّن الباحث أن يصنع لبحثه إحدائيات تُعرف بها قيمته وأهميته بوصفه بحثاً له إضافته العلمية ضمن سلسلة التراكم العلمي في المجال الواحد.

4. استعراض الدراسات السابقة:

إنّ استعراض الدراسات السابقة هي خطوة عملية بالغة الأهمية تدخل في صميم العمل المنهجي المؤسس على خلفية علمية وتراكمات معرفية ومنطقية تحذو بالباحث وتقوده إلى التعرف على الحلقات المفقودة في سلسلة الدراسات التي تناولت موضوعاً مشتركاً أو عدّة مواضيع مقاربة، فيهندي إلى ما أهمل من حلقات في باب من أبواب المعرفة؛ الأمر الذي يدفع الباحث إلى تسليط الضوء عليها من خلال أبحاث أخرى مستقلة.

ونظراً لكون الدراسات السابقة من المسائل التي وقع حولها الخلاف وكثر فيها الغلط، فقد أسفرت دراسة سابقة تناولت واقع استثمار الدراسات السابقة عن "وجود تباين كبير بين الباحثين؛ إذ تختلف نظرتهم نحوها، حتّى إنّ البعض لا يدرك المعنى الحقيقي والقصد العلمي من تناول تلك الدراسات وهو ما أسفرت عنه بحوثهم¹⁸، ناهيك عن اختلافهم وتباينهم في كيفية استعراضها داخل بحوثهم، الأمر الذي يجعلنا نجري مقارنة في كيفية استعراض جزئيات الدراسات السابقة.

لاحظنا في الآونة الأخيرة من خلال اطلّاعنا على الكثير من البحوث الأكاديمية (من خلال الإشراف على المذكرات ومناقشتها) أنّ أصحابها من الباحثين يتساهلون في عدم عرض جميع معلومات الدراسة السابقة -هذا إن وجت فعلاً-، إذ يقتصرون على ذكر العنوان، وصاحب الدراسة فقط، وهذا الحكم، تؤكّده نتائج دراسة سابقة؛ "أنّ جلّ الباحثين الذين أشاروا إلى جملة الدراسات السابقة في بحوثهم قد أغفلوا ذكر أدوات تحليل النتائج، والمنهج المتبع والفرضيات"¹⁹، وهذا راجع إلى الاختلاف في كيفية استعراض هذه الدراسات وأيّ أجزائها جديرة بالذكر، وإنّه لا يهمنّا في هذا المقام أين يجب ذكرها (موقعها في البحث) بقدر ما يهمنّا كيف ومتى يلجأ إليها الباحث: في التأسيس لبحثه من جهة، والاستئناس بها طيلة مراحل البحث خاصّة في تأكيد نتائجه ومناقشتها من جهة أخرى.

5. الجانب التطبيقي:

سنتناول في هذا الجانب مذكرة لطالبتين مقدمة استكمالاً لمتطلبات نيل شهادة الماستر، حيث سنعرض الدراسات السابقة التي اعتمدتها هذه المذكرة، ثم نحلل أهم الجوانب التي تطرقت إليها كل دراسة والجوانب التي أغفلتها والقواسم المشتركة بينها، حتى نستنتج القضايا المعرفية التي قامت الطالبتان -فيما بعد- بتدراكها في بحثيهما والتي خولتاهما لاختيار موضوع بحث جديد؛ أي التأكيد على الإضافة العلمية التي تقدمها المذكرة وموقعيتها بالنسبة للدراسات السابقة المعتمدة؛ والتعرف على الكيفية التي وُظفت بها (الدراسات السابقة) لاختيار الموضوع، غرضنا أن نكشف عن فاعلية هذه الدراسات السابقة في اختيار موضوع البحث وكيفية استثمارها في بلورة عنوانه وإشكاليته عن طريق استنتاج الاجراءات والاعتبارات التي اعتمدها الطالبتان أثناء سيرورة مرحلة ما قبل اختيار موضوع البحث، والتي تم من خلالها تأسيس موضوع الدراسة الحالية المنجزة.

والسؤال المنهجي الذي نطرحه في مستهل هذا الجانب التطبيقي: كيف ساعدت الدراسات السابقة على اختيار موضوع الدراسة الحالية؟

المذكرة موسومة بـ:

دافعية التعلّم وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة أولى ثانوي آداب.

إعداد: نجلاء خلفه ونعيمة حجوجي. جامعة 8 ماي 1945-قائمة.

إنّ التطرق إلى الدراسات السابقة وطريقة استعراضها -مقارنة بالمذكرات التي أهملت الدراسات السابقة- هي أحد الأسباب الرئيسة التي دفعنتي لانتقاء هذه المذكرة -دون غيرها- (بالرغم من بعض النقائص)، وجعلها أنموذجاً تطبيقياً أحتذي به كي أدمم ما أرمي إلى تحقيقه في هذا المقال، وهي نقطة إيجابية تحسب لأصحابها في ظلّ المذكرات والبحوث الكثيرة التي تسقط -عن قصد أو غيره- مرحلة الدراسات السابقة ولا تُعيرها أهمية سواء في اختيار الموضوع أو في مناقشة النتائج.

1. عرض الدراسات السابقة الخاصة بموضوع المذكرة:

فيما يلي ذكر للدراسات السابقة المعتمدة في هذه المذكرة:

- الدراسة السابقة الأولى: موسومة بـ:

العلاقة بين استراتيجيات التّعلّم والدّافعية للتّعلّم وأثرها على التّحصيل الدّراسي، بن

يوسف آمال، 2007-2008م، جامعة الجزائر.

هدفت هذه الدراسة السابقة إلى محاولة التعرّف على أهم الاستراتيجيات التعليمية المعتمدة في السنة أولى، ومدى انتشارها في أوساط المعلمين، إضافة إلى قياس درجات الدافعية عند المتعلّم ودور هذه الاستراتيجيات في حدوث التّعلّم. وقد طبقت هذه الدراسة أدواتها على 200 تلميذا معتمدة المنهج الوصفي، ثم خلصت الدراسة إلى نتائج أهمها:

1. لا يوجد تنوّع في استخدام الاستراتيجيات، والاعتماد على استراتيجية واحدة

مع عدم استعمالها بكثرة وبصورة واضحة.

2. لا تختلف درجة الدافعية والإقبال على الدراسة بين التلاميذ.

- الدراسة السابقة الثانية: موسومة بـ:

التّوافق الدّراسي وعلاقته بدافعية المتعلّم لدى تلاميذ السنة الأولى ثانوي. توهامي

شهرزاد، 2018-2019م، جامعة قالمّة.

هدفت هذه الدراسة السابقة إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين التّوافق الدّراسي ودافعية التّعلّم لدى تلاميذ السنة أولى ثانوي، وقياس مستوى الدافعية والتّوافق الدّراسي لدى التلاميذ، إضافة إلى التعرّف على مستوى الدافعية والتّوافق الدّراسي بين تلاميذ التخصص الأدبي والتّخصص العلمي، حيث طبقت هذه الدراسة أدواتها على 64 تلميذا، معتمدة المنهج الوصفي. ثم أسفرت هذه الدراسة عن الآتي:

1. أثبتت وجود علاقة ارتباطية بين الدافعية للتعلم والتوافق الدراسي.
 2. عدم وجود فروق دالة في الدافعية للتعلم والتوافق الدراسي أيضا بين تلاميذ التخصص الأدبي وتلاميذ التخصص العلمي.
- الدراسة السابقة الثالثة: موسومة بـ:

الدافعية للتعلم وعلاقتها بالتحصيل الدراسي في مادة اللغة الإنجليزية لدى طلبة السنة الثانية من التعليم الثانوي. قوراري ناصر وزحاف عبد القادر، 2013-2014م، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة.

هدفت هذه الدراسة السابقة إلى التعرف على العلاقة التي تربط بين الدافعية للتعلم والتحصيل الدراسي، إضافة إلى التعرف على أهمية الدافعية في رفع مستوى التحصيل الدراسي في مادة اللغة الإنجليزية، وقد طبقت أدواتها على 60 تلميذا، معتمدة المنهج الوصفي. وخلصت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. إن العلاقة بين الدافعية والتحصيل الدراسي سالبة ومنخفضة في مادة اللغة الإنجليزية.

6. الاستنتاج:

لا شك أن الطالبين وقعتا في حيرة وتردد على غرار كثير من الطلبة- أثناء محاولتهما اختيار موضوع بحث يقدمانه استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر، فضغط الإدارة ومحدودية المدة الزمنية لإنجاز البحث هيأ صراعا فكريا تجاذبت أطرافه جملة من القضايا كانت الطالبان يؤمنان بصلاحيه واحدة منها موضوعا لبحثيهما. ومن بين هذه القضايا ما تعلق منها بمجال التعليم والتعلم.

اختارت الطالبتان مجموعة من الدراسات السابقة التي تصب في مجال تطلعاتهما العلمية وتتطابق مع متطلبات تخصصهما، فقد كان مجال التعليم من أكثر القضايا التي شددت اهتمامهما في تلك المرحلة، باعتبار التعلم نشاطا مهما تبنى عليه العملية التعليمية التعلمية، وبه يتقدم ويتطور الإنسان.

وبما أنّ هذه العملية تقوم فاعليتها على تظافر ثلاثة أقطاب رئيسة تتمثل في: المادة المعرفية والمعلم والمتعلم؛ وبالنظر إلى العناية التي تقدّمها المناهج التربوية الحديثة للمتعلم، والذي أصبحت أصابع الباحثين والتربويين تُوجّه إليه بصفة خاصة باعتباره عنصرا فعّالا نشطا في العملية التعليمية، وبما أنّ التعلم لا يؤتي ثماره على وجه إكراه المتعلم وإخضاعه؛ فمن شروطه الرغبة والقصد والإرادة، إذ يقوم على مدى دافعية المتعلم نحو التعلم، فالدافعية تجعل المتعلم يستجيب لمضمون المقرر الدراسي، ويتكيف مع مختلف الوضعيات التعليمية، ويكتسب مهارات وكفاءات مختلفة، وينخرط في الأنشطة التعليمية بكيفية سلسة ومرنة، لهذا وجب مراعاة دافعية المتعلم قبل إقحامه في العملية التعليمية، وعلى أساسها يتمّ تكيف مضمون المقرر الدراسي بما يتوافق واستجابة هذا العنصر النشط (المتعلم).

وعليه فقد أثرت الطالبتان أن تسلّطا الضوء على تلك الرغبة التي تنشأ عند المتعلم وتتحكّم في سيرورة عملية التعلم، والتي تعود آثارها على التحصيل الدراسي، فكان لزاما الرجوع إلى دراسات كان لها السبق في تناول هذا الموضوع، حيث لاحظت الطالبتان أنّ الدراسات السابقة قد تناولت موضوع الدافعية للتعلم في ارتباطه بمتغيرات معينة.

فالدّراسة السابقة الأولى مثلا، ركّزت على الدافعية في علاقتها باستراتيجيات التعلم، والدّراسة السابقة الثانية تناولت الدافعية في علاقتها بالتوافق الدراسي.. وإنّ المتأمل في إشكالية كلّ من الدراستين والفرضيات المطروحة فيهما، يجد بلا شك أنّ كليهما عالج موضوع الدافعية للتعلم من زوايا تختلف عن الأخرى، وفي هذا السياق ربّما تساءلت الطالبتان عن طبيعة العلاقة التي تربط الدافعية بمتغيرات أخرى كالتحصيل الدراسي مثلا بوصفه ثمرة من ثمرات التعلم المرجوة، لتتواصل عمليات البحث والتّقيب عن الدراسات التي عالجت هذه الثنائية، وهو ما وقفت عليه الطالبتان في الدراسة السابقة الثالثة لتكون هذه الدّراسة نقطة الانطلاق، وإنّ ما يُنتقد من الدراسة السابقة الثالثة مقارنة بالدراستين السابقتين بالرغم من كونها تُعالج الدافعية في علاقتها بالتحصيل الدراسي؛ غير أنّها أهملت متغير الجنس في هذه الثنائية ولم تأخذ في الاعتبار الفروق بين الذكور والإناث، فضلا عن كونها تركّز على الدافعية في مادة تعليمية واحدة فقط (اللغة الانجليزية). فالحديث عن التحصيل

الدراسي في العملية التعليمية ينبغي أن يأخذ في الحسبان خصوصيات المتعلمين بوصفهم ذكورا أو إناثا والذين قد تتمايز دافعيات التعلم عندهم وتختلف من جنس إلى آخر، مما قد يؤثر على التحصيل الدراسي.

هنا تظهر للطالبتين إشراقة موضوع إشكالية جديدة من زاوية مظلمة تحتاج أن يُسلط عليها الضوء، قد تتناول الدافعية للتعلم ولكن في علاقتها بالتحصيل الدراسي، ويكون متغير الجنس فيها أساس هذه الإشكالية، وهي حلقة مفقودة مهمة لم تركز عليها الدراسات السابقة التي تم ذكرها آنفا -في حدود الدراسات التي تحصلت عليها الطالبتان-، وهو ما منح الطالبتين المبررات العلمية والآليات المنهجية للخوض في هذا الموضوع ولكن بحلةٍ اختلفت عن حُلل الدراسات السابقة. فجاءت أسئلة إشكالية موضوعهما كالآتي:

◀ هل توجد علاقة ارتباطية بين الدافعية للتعلم والتحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة أولى ثانوي؟

◀ هل توجد فروق دالة إحصائية في الدافعية للتعلم ترجع إلى متغير الجنس؟

◀ هل توجد فروق دالة إحصائية في التحصيل الدراسي ترجع إلى متغير الجنس؟

ولقد كان هدفهما من الإجابة عن هذه التساؤلات، هو التعرف على الفروق بين الذكور والإناث في الدافعية للتعلم، إضافة إلى التعرف على الفروق في التحصيل الدراسي بين الجنسين وذلك ضمن مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر موسومة بـ: دافعية التعلم وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة أولى ثانوي آداب.

7. الخاتمة:

حاولنا من خلال ما سبق أن نلفت انتباه الطلبة المقبلين على إنجاز مذكرات التخرج إلى أنّ وظيفة الدراسات السابقة ليست الاستعانة بها في تفسير النتائج فحسب -كما هو شائع-؛ وإنما لها دور تأسيسي إذ بإمكان هذه الدراسات أن ترافق الباحث طيلة مراحل البحث إذا أحسن استغلالها واستثمر جزئياتها بشيء من الدقة والجديّة.

وعليه يحسن بالطالب الباحث في سبيل اختيار موضوع البحث، أن يحدّد أولاً المجال المعرفي الذي تشدّه إليه موضوعاته، فيختار موضوعاً منها بما يتوافق مع مستوى استيعابه وإمكاناته الماديّة والمعنويّة ويناسب تخصّصه، ثمّ من باب الضرورة الملحة وعلى وجه الإلزام، يجب عليه أن يطلّع على كلّ ما كُتب في الموضوع وألّف من أطروحات ورسائل علمية ومقالات.. إذ لن يتأتّى له أن يختار موضوع بحثه إلا إذا استعان بهذه الدراسات في مجال تخصّصه، فيعمد إلى ما انتهت إليه جهود غيره من الباحثين، ثمّ يستثمرها ويجعلها منطلقاً كي يؤسّس عليه إشكالية علمية أغفلتها هذه الدراسات فتكون جديرة بالدراسة وتغنيه - مبدئياً- عن القراءات العشوائيّة في أنواع الكتب والتي قد تزيده تشتتاً. كما يلجأ الطالب الباحث إلى الدراسات السابقة من أجل اختيار الموضوع، فضلاً عن تفسير النتائج ومقارنتها بنتائج بحثه. كما تسمح له أن يفتح مناقشة المشكلة من زوايا متعددة.

وتجدر الإشارة ختاماً، أنّه ليس الغرض من إنجاز المذكرات هو البحث في ذاته ومن أجل ذاته، وإنما الغرض هو حلّ مشكلة والإجابة عن أسئلة تُطرح في الساحة العلمية أو الحيّاتية، وما دام الحال كذلك يترتّب على الطالب الباحث أن يطلّع على تفاصيل كلّ ما كُتب في الموضوع من دراسات سابقة، حتّى لا يكرّر ما أنجز، فتصبح دراسته تحصيل حاصل.

8. الهوامش:

- ¹- قدوري رايح، (2010م). «مكانة وواقع الدراسات السابقة في المذكرات والأطروحات الجامعية»: مخبر الوقاية والأرغوميا، جامعة الجزائر، ع3، ص41.
- ²- ينظر: دويدري رجاء وحيد: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العملية، 2000م، ط1، لبنان، دار الفكر المعاصر، ص403.
- ³- قدوري رايح، (2010م). «مكانة وواقع الدراسات السابقة في المذكرات والأطروحات الجامعية» مرجع سابق، ص44.
- ⁴- ينظر: سليمان عبد الله محمود: منهج وكتابة تقرير البحث في العلوم، 1973م، دط، مصر، المكتبة الأنجلو مصرية، ص20.
- ⁵- موريس أنجريس: منهجية البحث العلمي تدريبات عامة، 2004م، دط، الجزائر، دار القصة، ص298.
- ⁶- عطوي عزت جودت: أساليب البحث العلمي، 2007م، دط، الأردن، دار الثقافة، ص173.
- ⁷- عبيدات محمد وآخرون: منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات، 1999م، دط، الأردن، دار وائل، ص46، 47.
- ⁸- العزاوي رحيم: مقدمة في منهج البحث العلمي: 2008م، ط1، الأردن، دار دجلة، ص46.
- ⁹ -A, Ramdhani, M,A,Ramdhani et al:2014 ,Writing a Literature Review Research Paper: astep by step approach,international journal of basics and applied sciences,Insan Akademika Publications ,P48.
- ¹⁰- صيني سعيد إسماعيل: قواعد أساسية في البحث العلمي، 1994م، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص155.
- ¹¹ - سفاري ميلود، (1995م). «الأسس المنهجية في توظيف الدراسات السابقة»، مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، عدد خاص، ص42.
- ¹²- نسيم فاطمة الزهراء: منهجية وتقنيات البحث الاجتماعي (كيفية إعداد مذكرة في علم الاجتماع)، 2015م، الجزائر، مركز جيل البحث العلمي، جامعة الجيلالي بونعامة، ص18.

- ¹³ - سفاري ميلود، (1995م). «الأسس المنهجية في توظيف الدراسات السابقة»، مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص40.
- ¹⁴ - صيني سعيد إسماعيل: قواعد أساسية في البحث العلمي، مرجع سابق، ص154، 155.
- ¹⁵ - عليان ربحي مصطفى: البحث العلمي أسسه مناهجه وأساليبه إجراءاته، دت، دط، الأردن، بيت الأفكار الدولية، ص317.
- ¹⁶ - الصيرفي محمد عبد الفتاح: البحث العلمي الدليل التطبيقي للباحثين: 2002م، ط1، الأردن، دار وائل، ص94.
- ¹⁷ - ينظر: إبراهيم عبد الوهاب: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة: 1986م، ط3، جدة، دار الشروق، ص65.
- ¹⁸ - قدوري رابح، (2010م). «مكانة وواقع الدراسات السابقة في المذكرات والأطروحات الجامعية» مرجع سابق، ص41.
- ¹⁹ - المرجع نفسه، ص48.

9. قائمة المراجع:

- إبراهيم عبد الوهاب: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة: 1986م، ط3، جدة، دار الشروق.
- دويدري رجاء وحيد: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العملية، 2000م، ط1، لبنان، دار الفكر المعاصر.
- سليمان عبد الله محمود: منهج وكتابة تقرير البحث في العلوم، 1973م، دط، مصر، المكتبة الأنجلو مصرية.
- صيني سعيد إسماعيل: قواعد أساسية في البحث العلمي، 1994م، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- عبيدات محمد وآخرون: منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات، 1999م، دط، الأردن، دار وائل.
- عطوي عزت جودت: أساليب البحث العلمي، 2007م، دط، الأردن، دار الثقافة.

- عليان ربحي مصطفى: البحث العلمي أسسه مناهجه وأساليبه إجراءاته، دت، دط، الأردن، بيت الأفكار الدولية.
- العزاوي رحيم: مقدمة في منهج البحث العلمي: 2008م، ط1، الأردن، دار دجلة.
- الصيرفي محمد عبد الفتاح: البحث العلمي الدليل التطبيقي للباحثين: 2002م، ط1، الأردن، دار وائل.
- مورييس أنجريس: منهجية البحث العلمي تدريبات عامة، 2004م، دط، الجزائر، دار القصبة.
- نسيم فاطمة الزهراء: منهجية وتقنيات البحث الاجتماعي (كيفية إعداد مذكرة في علم الاجتماع)، 2015م، الجزائر، مركز جيل البحث العلمي، جامعة الجيلالي بونعامة.

10. المجلات:

- سفاري ميلود، (1995م). «الأسس المنهجية في توظيف الدراسات السابقة»، مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، عدد خاص.
- قدوري رابح، (2010م). «مكانة وواقع الدراسات السابقة في المذكرات والأطروحات الجامعية»: مخبر الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر، ع3.

11. المراجع باللغة الأجنبية:

A, Ramdhani, M,A,Ramdhani et al:2014 ,Writing a Literature Review Research Paper: astep by step approach,international journal of basics and applied sciences,Insan Akademika Publications.